المحاضرة الأولى: مدخل إلى النظرية التربوية

مدخل:

على مدار العصور السابقة شهد الفكر التربوي تطورا ملحوظا مس العديد من مجالات المعرفة العلمية، ومن بين هذه المجالات تلك التي جعلت من الفرد محورا لها، على غرار مجال التربية والتعليم، حيث كان لها حضور مميز تجسد في العديد من الأفكار التي تحولت فيما بعد إلى تصورات نظرية شكلت فيما بات يعرف بالنظريات التربوية، والتي كانت تتمحور في معظمها حول السبل الناجعة الكفيلة ببناء الفرد السوي والسليم من جميع النواحي.

وكان المحصلة عشرات النظريات التربوية التي وإن اختلفت في توجهاتها لكنها اتفقت حول محور الاهتمام وهو الإنسان، فمنها ما ركز على الفرد من حيث بنائه الشخصي، على غرار النظرية الإنسانية أو الشخصانية، ومنها ما ركز على البعد الاجتماعي في العملية التربوية على غرار النظرية الاجتماعية، ومنها ما ركز على البعد النفسي المعرفي على غرار النظرية النفسية المعرفية، وغيرها من النظريات التي سنأتي على تناولها ، لكن قبل ذلك لا بد من التعرف أولا على مفهوم النظرية عموما ومفهوم النظرية التربوية على وجه الخصوص، وأهم أصولها.

1-مفهوم النظرية التربوية:

أولا: مفهوم النظرية

التعريف اللغوي

من الناحية اللغوية مصطلح النظرية مشتق من الفعل نظر ومعناه حاول فهمه وتقصى معناه وحقيقته بالفهم والتجريب والاختبار.

وفي القرآن الكريم قوله تعالى: "قل انظروا ماذا في السموات والأرض" سورة يونس الآية 101

وتتكرر الدعوة إلى النظر في تركيب الإنسان والحيوان والنبات، وحال المجتمعات والحضارات في عشرات السور من القرآن الكريم، ويقول ابن تيمية: "إن النظر لا يقتصر على البصر والإبصار بالعين، إنما يشترك فيه العقل والحواس جميعا"، ومن هنا تتجلى المعالم الكبرى لمفهوم النظرية، القائمة على إعمال العقل من خلال التفكر والتدبر والممارسة والتجريب.

اصطلاحا: هي نسق فكري استنباطي متسق حول ظاهرة أو مجموعة من الظواهر المتجانسة، ويحوي هذا النسق إطارا تصوريا ومفاهيم وقضايا نظرية توضح العلاقات في الواقع وتنظمها بطريقة دالة وذات معنى، كما أنها ذات بعد امبريقي بمعنى اعتمادها على الواقع ومعطياته، وذات توجه تنبئي يساعد على فهم مستقبل الظاهرة ولو من خلال تعميمات احتمالية.

ثانيا: مفهوم التربية

التعريف اللغوي:

من الفعل ربا تعني النمو والزيادة، وفي القرآن الكريم: "وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج" سورة الحج الآية 05

اصطلاحا: التربية هي سيرورة تستهدف تحقيق النمو والاكتمال التدريجيين لوظيفة أو مجموعة من الوظائف عن طريق الممارسة، وتنتج هذه السيرورة إما عن الفعل الممارس من الطرف الآخر (وهذا هو المعنى الأصلي والأكثر عمومية)، وإما عن الفعل الذي يمارسه الشخص على ذاته.

وهي عملية تنمية متكاملة وديناميةتستهدف جميع جوانب الفرد عقليا وجسديا ونفسيا واجتماعيا ووجدانيا، وتتحقق التربية على أكمل وجه إذا شملت كل النواحي السابقة وعملت على تكاملها.

ثالثا: مفهوم النظرية التربوية

تعددت التعريفات التي تناولت مفهوم النظرية، ومن التعاريف الشائعة للنظرية التربوية أنها: كل تفكير يتناول بالتحليل مشكلات التربية، ويقدم اقتراحات للتطوير والتحسين والتغيير والتجديد، وهي مرفقة ومدعمة بخلفية من الأفكار والمفاهيم المنظمة والمنسجمة بشكل منهجي، غايات واهداف التربية، التعلم والتعليم والتدريس، المعلم مكانته كفاءاته التربوية والبرامج التعليمية وعلاقتها بفلسفة وبناء المجتمع.

ويمكن تعريف النظرية التربوية بأنها مجموعة منسقة من البناءات الفكرية والمعرفية، والمفاهيم المتخصصة، والتعريفات المحددة، والافتراضات المؤسسة في ضوء خلفيات فلسفية، تتمثل أساسا في المذاهب الفلسفية الكبرى، وأخرى علمية تتعلق بأهم الاتجاهات التي ميزت التراث السيكولوجي، وحتى السوسيولوجي والتكنولوجي، ومحور اهتمام هذه النظريات المساعدة في تقديم تصور للظاهرة التربوية يمكن من فهمها، مما يساعد الباحثين على دراستها، وتحويلها إلى ممارسات عملية مبنية على أسس علمية.

وتستمد النظرية التربوية مفهومها في أي مجتمع من العقيدة أو الفلسفة السائدة فيه، سواء أكانت عقيدة دينية أو فلسفة مثالية أو مادية أو طبيعية، ويتأثر هذا المفهوم بعوامل عديدة منها الحضارة السائدة، وطبيعة العصر، والأهداف السياسية والاجتماعية والنظام الاجتماعي والمستوى الاقتصادي.

2- وظائف النظرية التربوية

انطلاقا من التعريفات السابقة يمكن أن نستنتج الوظائف الأساسية للنظرية، والتي اتفق عليها معظم المنظرين، وهي ذات الوظائف التي تسعى إليها النظرية التربوية على النحو التالي:

-الوصف، يمثل أدنى المستويات، ويتطلب التحديد الدقيق للمصطلحات النظرية، ويتضمن جميع الحقائق المتعلقة بالظاهرة وتطبيقها وتصنيفها.

-التفسير، وفيه ينشد المنظر الفهم الدقيق للظاهرة عن طريق تقديم التفسير الدقيق للحقائق وإدراك ما بينها من علاقات وارتباطات.

-التنبؤ، يعد وظيفة تتصل بتعميم ما توصلت إليه الخبرة الإنسانية، ومن ثم الوصول إلى تقويم النظرية واختبارها وفقا لطبيعتها وارتباطاتها بالممارسة، بحيث تكون الاستنتاجات ممكنة تجريبيا من حيث مقدرتها على التنبؤ بمستقبل الظاهرة.

وإذا كانت هذه هي وظائف النظرية عامة، فإن النظرية في العلوم التربوية وتبعا لطبيعتها وظيفتها هي التشخيص والعلاج، واذا كانت النظرية العلمية تحاول وصف وتفسير ما هو قائم، فان النظرية التربوية تصف الواقع التربوي وتقرر ما ينبغي من ممارسات تربوية وتعليمية فعالة.

3-أصول النظرية التربوية:

ترتكز النظرية التربوية على جملة من الأصول تعتبر بمثابة الأسس التي تقوم عليها أي نظرية تربوية مهما اختلفت توجهاتها، ويتفق العديد من المنظرين على جملة من الأصول نشي رإليها في عنصرين أساسيين:

-الأصول الفلسفية، فالعديد من النظرية تأسست في ضوء المبادئ للعديد من المدارس الفلسفية المرموقة والتي كان لها حضور قوي في الفلسفة والفكر، على غرار المذهب المثالي الأفلاطوني، والمذهب الواقعي، والمذهب الطبيعي، والمذهب البراغماتي، دون أن ننسى دور المدرسة الإسلامية.

الأصول العلمية، وتتمثل أساسا في التراث المعرفي التراكمي الذي ميز مختلف العلوم والتخصصات على غرار علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الإنسان وعلم التاريخ، وحتى علوم الإعلام والاتصال، وكل منها قدم للنظرية التربوية المعرفة العلمية المتخصصة المرتبطة بالفرد والمجتمع.

4-تطبيقات النظرية التربوية

النظرية التربوية ليست مجرد أسس ومبادئ عامة موجودة في الكتب والمؤلفات، بل أن النظرية التربوية لن تكون ذات جدوى وفعالية إذا لم تترجم إلى ممارسات ميدانية تظهر في الأداء اليومي للأستاذ أوالمعلم، وكل من أوكلت له مهمة التربية في إطار مفهومها الشامل، وقبل الممارسات تظهر الحاجة الملحة إلى ترجمة توجهات النظرية التربوية في المناهج التعليمية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، ومن هذا المنطلق تتجسد تطبيقات النظرة التربوية على عدة مستويات أهمها:

المنهاج التربوي نظرا لمكانته الاستراتيجية في العملية التربوية عامة والعملية التعليمية على وجه الخصوص، وذلك لكونه الترجمة الفعلية لفلسفة التربية وغاياتها وأهدافها العامة والخاصة، كما يمكن اعتباره الوسيلة الأكثر فعالية في تبني توجهات النظرية التربوية، وترجمتها إلى مضامين واستراتيجيات بما يحقق المقاصد العامة للتربية.

والمنهج هو مصطلح يشير إلى وجموعة مشروعة ومقبولة من المعتقدات والقيم والمعارف والمهارات والاتجاهات، من شأنها أن تدفع من يكتسبها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، واعية أو غير واعية إلى القيام بأنماط معينة في التفكير وفي السلوك، يعهد بها إلى مؤسسة معينة (المدرسة)، ويضطلع بتقديمها لمجموعات مختلفة من المتعلمين مهنيون ملتزمون (المدرسون/ المعلمون) وتستخدم في تقديمها تنظيمات وطرق وأساليب ومواد تعليمية تختار بعناية بعد تأمل جاد، وتتخذ بشأنها قرارات يسهم فيها ممثلون لمن لهم خبرة في التعليم، مع الأخذ بعين الاعتبار الخصائص الثقافية والاجتماعية للمجتمع المحلي.